

- ٢ -

فلسفة الصورة في شعر الرومانتيكيين

رأينا كيف كانت الصورة عند الكلاسيكيين تابعة لنظريتهم في المعرفة وكانت تمثل لديهم الدرجة الدنيا للمعرفة ، إذ يستعين بها الإدراك ابتداء عن طريق التداهي ، ولكنه لا يلبث أن يتجاوزها إلى درجة المعرفة العليا المثلة في الأفكار التجريدية . والإدراك قوة تجريدية مستقلة عن صور الحس ، وهو خاصة العقل : ولذا هونوا من شأن الخيال والصورة .

وفي أوائل القرن الثامن عشر خطا لايبنتز (١٦٤٦ - ١٧١٦) ومن سار على نهجه من فلاسفة الكاثوليكين خطوة جديدة في إدراك الصورة ، فعلى الرغم من أنهم ظلوا يرونها وليدة قوى الحس ، وأن الإدراك أسمى منها لأنه خاصة العقل ، فإنهم مع ذلك أولوا الصورة أهمية خاصة ، إذ الصورة للفكرة كالجسم من الروح ، والإنسان - كما قال أرسطو - روح مرتبطة أوثق رباط بالجسم ، ولا وجود لها بدونها ، وكذلك الفكرة ، لا وجود لها بدون أشياء محسوسة تتعلق بها ، وهي الصور التي ينظمها العقل بالتداعي . وهؤلاء على وفاق مع الكلاسيكيين الخالص في أن الصورة أضعف من الإدراك ، ولكنهم يرون أن من صفات الإنسان أن يتوقف كل كمال فيه على ضعف ، فلا وجود لفكرة بدون صورة ، كما لا وجود لروح بدون جسم .

ويمكن أن تكون لهذه الفكرة نواة في فلسفة أرسطو ، حين قرر أن الإنسان لا يمكنه أن يفهم شيئاً أو يستفيد علماً إذا لم يحس ، ولا يستطيع أن يزاول نشاطه الذهني دون عون من الخيال أو الوهم (١) .

ولكن لايبنتز ومن ساروا على نهجه لا يحصرون الخيال في دائرة